سؤال الحداثة عند عبد الوهاب المسيري
منطلقات الفهم وآفاق التجاوز

***

د. بشير خليفي/ جامعة معسكر

استهلال:[*]

تحيل الحداثة بوصفها توجها ومنهجا فلسفيا إلى حركة فكرية أسست للجديد عبر القطيعة من خلال تبنيها لمشروع إنساني قائم على ثلاثية الفردانية، العقلانية والحرية. ومن ثمة حاولت تجاوز مختلف الاكراهات التي كبلت تحقيق هذا المشروع عبر التاريخ والتي استندت في معظمها إلى مبررات دينية وثقافية. غرضنا في هذه الورقة البحثية يكمن في البحث عن تمثل الحداثة ضمن فضاء الفكر العربي من خلال شخصية المفكر المصري عبد الوهاب المسيري عبر سعيه لتبيئة هذا المفهوم من خلال تفعيل النقد، أي تمثل الأبعاد الإنسانية للحداثة ونقد الثقافة الاستهلاكية المسيطرة التي تفقد الإنسان قيمته بجعله رهينا لمنتجات السوق. إن هدف المسيري الأساس من تصوره للحداثة لا يتباعد عن تقويض دعائم الحداثة الغربية في شكلها المستبد الناتجة عن المفاعيل العكسية المؤدية إلى نقيض المقصود، حيث تجعل من الإنسان هامشا وهو مركز الكون لتحل محله مركزيات وثوابت جديدة مثل المنفعة المادية، التقدم، معدلات الإنتاج، قوانين الحركة. ليكون البديل في نظره حداثة بديلة تغتني من الأخلاقيات ذات الأبعاد الإنسانية وذلك من خلال قيامها على فكرة التعاقد، التراحم والعدل.

كلمات مفتاحية: حداثة- فردانية- عقلانية- حرية- استهلاك- أخلاق- حضارة- تعاقد- تراحم- عدل.

*****

[*] - **Abstract:** Modernity as a philosophical trend and approach refers to an intellectual movement founded on adopting a humanitarian project based on individuality، rationality and freedom. It considered by its supporters as process for overcoming the different obstacles which hinder the progress and development. Our purpose in this research paper lies in the search for modernity represented within the space of the Arab Thought through the character of the Egyptian intellectual and philosopher Abdel-Wahab El-Messiri. The conception of Abdel-Wahab El-Messiri represents the human dimensions of modernity a by criticizing the dominant consumer culture in which human loses his value by making him a prisoner depend on the market movement. The goal of El-Messiri in this case is to establish a new dimensions of modernity، by making the human as a value in the center of interest through the ideas of contract، compassion and justice.

Keywords: Modernity- Individuality- Rationality- Freedom- Consumption - Ethics- Civilization- Contract- Compassion- Justice.

ارتبط مفهوم الحداثة في الفكر العربي الحديث والمعاصر بمشاريع النهضة والتنوير في ضوء سعي بعض المفكرين والمتفلسفة إلى تقديم وبلورة أطاريح تساعد المجتمع العربي في النهوض من كبوته ومن ثمة إيجاد طريق للإبداع والتقدم. بيد أن نمط الحداثة وطريقها كان ولا زال محل اختلاف، حيث يحصل الافتراق في طبيعة المجتمع المأمول، ومن ثمة شَكْل وفرادة الفلسفة التي يُبرر بها المشروع، أي تقديم تصور مفصل عن طبيعة التعامل مع مختلف قضايا الحياة، فيبرز حضور الدين، الديمقراطية، المرأة، الحداثة نفسها بوصفها مواضيع سجال ومناقشة.

والواقع أن مختلف المشاريع الفكرية العربية تنضح بالحداثة حضورا وتجاوز، إما سعيا لتمثل ومطابقة أو تفنيد وتجاوز وصولا لحالة الترشيد والتصحيح، حيث يرى البعض من المفكرين بأنه لا مناص من الحداثة في عملية الإقلاع الحضاري، تجسيدا للتحديث وتركيزا على الحدث من خلال الاهتمام بالراهن والمعيش، ويرى البعض الآخر واجب ربطها بالمعطى التداولي أي ضرورة تغذيتها بما يتمشى والخصوصية الثقافية، في حين يرى فريق ثالث أن الحداثة مصطلح سيء السمعة ينبغي تجاوزه والاستغناء عليه بوصفها منجزا غربيا يقوم على التبعية والانصهار.

في ماهية الحداثة:

الحداثة منجز معرفي متعدد الأبعاد، تتقاطعه تخصصات ومجالات عديدة، وتؤسس له فُهومات متنوعة تحيل في معظمها إلى ضرورة تغيير وتحسين الراهن والمعيش، ومن ثمة التوجه عبر مبادئ التجديد إلى الأهداف الكامنة في التطور.

لقد عبّرت الحداثة في عنوانها العام داخل سياق الفلسفة عن المنجز المتعدد الأبعاد الذي حدث في عصر الأنوار في ضوء الانعطاف الديكارتي بإعلاء أهمية العقل، وعبر إسهام إيمانويل كانط في فلسفته النقدية خصوصا عبر ابستمولوجيا الأخلاق والحكم الجمالي متجاوزا في ذلك عديد الأكراهات المفروضة على مستوى الاستدلال والحكم.

لقد أوجدت الحداثة بوصفها توجها نحو تجاوز مختلف الأغلال والعوائق المثبطة والمؤجلة لنهضة الإنسان أحكاما وفهومات متعددة، من منطلق تماهي طروحاتها مع نظرية المعرفة، فيصبح تمثلها مطابقا لمشروع الفرد الفكري الذي يرتبط بشكل أساس في البحث عن أساليب مطورة ومفككة لوضعيات وبنيات العالم المعيش، لتصير الحداثة حديثا وحدثا ينوجد في الواقع ويستجد في ساحة التجربة الإنسانية.[1]

لقد توجهت الحداثة عبر منطلقاتها الفلسفية الأولى إلى تبني حلم الكونية العقلانية، مستفيدة في ذلك من المنجز الديكارتي بغرض الاستفادة من الأخطاء التاريخية للانطلاق في حياة جديدة، كما أنها ركزت على البعد الأخلاقي والسياسي من أجل تفعيل الحرية كي يعبر الإنسان عن تمثلاته بإرادة حرة، ويعيش فرديته وخصوصيته خارج كل سطوة اجتماعية، اتضح ذلك في عديد

[1]- الزين محمد شوقي، إزاحة فكرية: **مقاربات في الحداثة والمثقف**، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، ط1، 2008، ص22.

الإسهامات والتعبيرات التي زامنت الكتابات الإصلاحية، وكذا في خطابات عصر النهضة حيث ارتبط المقصد في الفكر الغربي أساسا بتجاوز مختلف العوائق التي كبلت الفكر الغربي وأجلت تحقيق فاعليته.

لقد ارتبط التصور الحداثي في معناه العام بالموقف الانساني الذي يعيد في حركية لا تعرف الانقضاء تمثل القيم الإنسانية في التفكير والتشريع، زيادة على الوعي بنسبية الحقيقة ومن ثمة الخروج من هلامية المشاريع الفكرية الكبيرة لصالح قضايا تجد مبرراتها من الراهن والحاجة، بمعنى التوجه نحو الفعل بما يخدم مقصدية التطور، زيادة على درء المنظومات المطلقة لصالح الاعتماد على العقل والتجربة في عملية التقويم المستمر للتجربة والممارسة، مع تبني رؤية مستقبلية تهدف أساسا إنتاج ثقافة نقدية حرة ومبدعة ترنو إلى إحداث التقدم.[1]

بيد أن هذا التوصيف العام قد لا يجد اجماعا حوله حينما يتعلق الأمر بتحليل الوسائل والطرائق، وكذا أثناء البحث في علاقة الحداثة بوصفها تمثلا مع مختلف الأسئلة التي يفرضها الراهن أو أثناء التعامل مع أسئلة التاريخ، مما يؤسس لفُهومات متعددة قد تصل حد التعارض والسجال، مثلما يتضح في الاختلاف الشهير بين يورغان هابرماس وفرانسوا ليوتار في اعتبار الأول الحداثة مشروعا غير منته في حين أشار الثاني إلى راهنية الحداثة البعدية بعد تجاوز المنطلقات الأولى.

للإشارة فإن تجسيد الحداثة لا يعد أمرا هينا بالنظر إلى التصورات المتعددة الناتجة عن الاستعمال المكثف وسعة الانتشار في الأوساط الثقافية والسياسية والإعلامية[2]، وكذا إلى المفاعيل العكسية الحاصلة التي قد تؤدي إلى نقيض المقصود، حيث قد يتم مثلا تقديس العلمنة لتصبح طرحا دوغمائيا يصعب تعديله أو تجاوز مثالبه.

في هذا الإطار تتحدد أهم معالم الفكر العربي في نظرته للحداثة، والتي كانت نتاج محاولات تجاوز واقع التخلف إلى مرحلة التطور والاعتماد النفس من جراء إكراهات الاستعمار الذي عرفته معظم الدول العربية، حيث انبرى المفكرون المهتمون بتحصيل وإحداث النهضة إلى إبداع وتنظير مشاريع فكرية عربية كان هدفها الأساس إحداث نهضة ومن ثمة جمع مختلف الشروط المؤدية إلى الاقلاع الحضاري، وكانت البداية في العصر الحديث والمعاصر عبر إدراك الهوة السحيقة الفاصلة بين المنجز الحضاري الغربي والعربي عبر ما يعرف بصدمة الحداثة، الأمر الذي أدى إلى نشوء خطابات في الحداثة وعنها تفرعت إلى ثلاث منظومات معرفية رئيسة: حيث تبنت المنظومة الأولى خطابا تمجيديا تقريظيا للحداثة يعتمد على التنويه بمزاياها ومحاسنها مع تأكيد ضرورة تمثلها في سياقها من منطلق تقفي السمت الحضاري واستيعابه بغرض صنع الحضارة مثلما نجد في مساهمات طه حسين، سلامة موسى، شبلي شميل، يوحنا قمير وغيرهم.

---

[1]- بنيس محمد، **الحداثة المعطوبة**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2004، ص 132.

[2]- الخطابي عز الدين، **أسئلة الحداثة ورهاناتها**، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، بيروت، الجزائر، دبي، ط1، 2009، ص 15

في حين ينبني التصور الثاني على خطاب تفنيدي يقوم بتقويض ودحض الحداثة من منطلق منشئها لصالح العودة إلى الأصول والمظان الأولى المؤسسة للوعي الاجتماعي في إطار خصوصية الهوية الثقافية، بينما يقوم البعد الثالث على ترشيد الحداثة عبر ممارسة النقد من منطلق تقويض الفكرة القائلة بالمطابقة بين اعتبار الغرب مصدرا من مصادر المعرفة واعتباره المعيار القيمي الأوحد كما فعل إسماعيل الفاروقي، طه عبد الرحمان وعبد الوهاب المسيري.

المفاعيل العكسية للحداثة ونقيض المقصود:

يمثل المفكر عبد الوهاب المسيري (1938– 2008) علامة فارقة في الفكر العربي المعاصر بالنظر إلى موسوعيته من حيث اشتغالاته المعرفية المتعددة، وكذا طروحاته التي سعى من خلالها إلى مُساءلة قضايا الفكر العربي والإسلامي في ضوء المناهج النقدية والقِرائية المعاصرة بغرض فهمه واستيعاب خصوصيته.

لقد اتجه عبد الوهاب المسيري إلى استقصاء ظاهرة الصهيونية وفهم تداعياتها على الوعي والوجدان العربي، كما سعى إلى مناقشة القضايا الفكرية والمصيرية من خلال تمظهراتها في الأدب العربي والعالمي، هذا زيادة على بحثه في قضايا الحداثة وطبيعة تمثلها ضمن المعطى التداولي العربي، خصوصا ما تعلق منها بإكراهات الثقافة الاستهلاكية عبر تركيزه على مفهوم الامبريالية النفسية بنقده للتمثل المادي للحداثة، حيث يرى أن إغراءات المنجز المادي للحضارة الذي يعبر عن عمل وبحوث مضنية يُستقبل بشكل استهلاكي سطحي في المجتمعات المتخلفة نتيجة طغيان الثقافة المادية. مما أدى إلى درء التفكير في المجردات والاستغراق في التساؤلات المفاهيمية العميقة كسؤال المعنى والهوية لصالح السعي الحثيث لتوفير متطلبات الحداثة في شقها المادي، بمعنى وضع الاستهلاك مكان الفكر باستشراء وتدعيم فكرة الانسان ذو البعد الواحد الذي يؤثر مصلحته على حساب الوطن والكرامة، الأمر الذي دفع المسيري إلى البحث في طرائق ترشيد الحداثة المادية عن طريق معالجة قيمية تعزز منطق الاشتراك والتراحم بين البشر.

يرى المسيري أن الحداثة الغربية قد حققت جوانب إيجابية عديدة للإنسان الغربي على مستوى الفهم والانجاز المادي، بيد أنها بالمقابل أوجدت منطقا جديدا جلب معه وضعيات مختلفة رهنت آدمية الإنسان وأدت إلى سيطرة الأشياء عليه، حيث استغرقت الفلسفة في الحديث عن موت الانسان ونهاية التاريخ، في حين بدأ الأدب الحداثي في الغرب يتحدث عن الأرض الخراب، وتحدث علم الاجتماع الغربي عن التنميط وسلعنة القيم بما يضر جوهر الانسان بوصفه كائنا عاقلا ومركزا الكون لصالح شيء غير إنساني ممثلا في الآلة والسوق.[1]

من هذا المنطلق اتجهت الحداثة في جوانب معينة عبر المفاعيل العكسية إلى تجسيد نقيض المقصود، حيث اختفت الفواصل والحدود بين الأشياء الإنسان وأصبح هذا الأخير رقما ضمن منظومة السوق مما أدى إلى إزاحته عن المركزية بسبب تقويض دعائم الكينونة العقلية الخالصة

[1]- المسيري عبد الوهاب، **الحداثة وما بعد الحداثة**، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، لبنان، ط1، 2003.

التي طالما ارتبطت بوجوده، لصالح مفهوم الانسان الطبيعي ذي الأبعاد المحددة، الذي ينظر إليه بوصفه مادة استعمالية واستهلاكية لها مدة صلاحية تجعل منه وحيدا وعاجزا حينما يفقد مبررات الاستعمال.

لقد بدا للمسيري أن المفاعيل العكسية أجّجت النظرة للإنسان بوصفه مجموعة من الدوافع المادية والاقتصادية والجنسية، بدأ هذا الوعي في الفلسفة الحديثة على سبيل المثال مع تصور توماس هوبز Thomas Hobbes في إقراره بحرب الجميع ضد الجميع عبر تأكيده على العلاقة المضطربة بين الإنسان وغيره من بني البشر، ومع تمثلات توماس مالتيوس Thomas Malthus ونظرية تشارلز داروين Charles Darwin في فكرة الصراع المستمر والبقاء للأصلح، ثم مع كارل ماركس Karl Marx في التأكيد ارتباط وعي الإنسان بالواقع المادي والظروف الاقتصادية.

لم ينف المسيري الايجابيات العديدة للحداثة الغربية التي تعد الحضارة انجازها ومظهرها الأول، مع التأكيد على أهمية التصور الليبرالي من زاوية الحراك الثقافي وسهولة تنقل المعلومة. بيد أن المسار المتسرع للمنظومة الاقتصادية وتأثير الربح والعائد المادي أدت إلى إعطاء المركزية للسلعة والشيء على حساب الإنسان، حيث تحولت العقلانية إلى عقلانية أداتية كما يرى ألان تورين، مما أوجد أبعادا وخلفيات لاعقلانية في بنية الخطاب المعرفي والذي يمكن رده إما إلى استنفاذ العقل الغربي حضوره وأدائه لمهمته، أو إلى دور المفاعيل العكسية في اللعب على وتر الحاجة ومن ثمة السعي الحثيث لنشر نمط متزمت من ثقافة التبضع والتسوق المفضية إلى جعل الإنسان عبدا لنزواته ورغباته بما يؤدي إلى "السُّعار الاستهلاكي."[1]

إن طغيان الثقافة الاستهلاكية بمعناها اللاإنساني له سلبيات العديدة فرديا واجتماعيا، فيصير الإنسان باحث متعة ولذة، مما يؤجج تصورا فرديا قائما على إيثار الذات على حساب القيم، فينشأ طرح سوفسطائي جديد يقوم على ما أقره بروتاغوراس بأن الانسان مقياس كل شيء، ومن ثمة يبرز توصيف المسيري بحسب موضوعة "الامبريالية النفسية" التي تضغط على المستهلك بمناويل نفسية ذات أبعاد جمالية تدفعه لربط مبرر الوجود في الحياة بالقدرة على الاستهلاك.[2]

إن استشراء هذا النمط من التفكير بحسب المسيري هو نتيجة حتمية لغياب البعد الانساني وسمة التراحم من خلال التطبيقات التي افضت لها الحداثة، مما أدى إلى وأد انسانية الانسان وذلك بدفعه إلى تبني طريقة هستيرية لتحقيق متطلباته، الأمر الذي يؤثر سلبا على إدراكه القيمي ومن ثمة على طبيعة تصوره للخير والشر، زيادة على التركيز على المادة والجسد على حساب الروح والمشاعر، فيصير إشباع رغبات الجسد وتوفير جميع مستلزماته شرطا رئيسا للشعور وتحقيق الاندماج الاجتماعي.[3]

---

[1]- المسيري عبد الوهاب، **"الاستهلاكية والامبريالية النفسية"**، رحلتي الفكرية: في البذور والجذور والثمر، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2000، ص 200.

[2] - المسيري عبد الوهاب، المرجع السابق نفسه، ص 193.

[3]- المسيري عبد الوهاب، فكر حركة الاستنارة وتناقضاته، دار نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1998م، ص52.

لقد وقعت الحداثة الغربية في تصور المسيري في مقدسات جديدة من منطلق انفعال أولي زامن حضورها في ضوء تقويض مختلف الأقانيم والأصنام التي عطلت الفكر الغربي وأجلت الإقلاع الحضاري، حيث بدأ الفعل الأول من درء القدسية الدينية لصالح تفعيل العقل تماشيا مع المقولة الديكارتية الشهيرة بأنه أعدل قسمة بين الناس، زيادة على إعطاء الفرد حريته المسلوبة التي رهنتها محاكم التفتيش وصكوك الغفران في فترة القرون الوسطى، وكذا تنقيص حدة الاجتماعي لصالح الفردي فيصير هذا الأخير حرا ومسؤولا عن وجوده دون مراعاة الجنس، فيستحيل الهاجس الأول للحداثة مرتبطا بإيجاد قوانين وتشريعات تمس الحياة اليومية أكثر من استغراقها في اليوتوبيات والينبغيات.

الحداثة البديلة أو نحو فلسفة للتعاقد، التوازن والتراحم:

لقد أصبح من اللازم في نظر المسيري البحث عن حداثة بديلة تتمثل إيجابيات الحداثة القائمة على مستوى الفكر والواقع الغربي، وتستلهم خصوصية المعطى التداولي في شكله الأفقي والعمودي، بمعنى أنها تجمع بين الخصوصية والإنسانية أو بتعبير المسيري التوجه نحو منظومة تحديثية إنسانية إسلامية، تقيم التوازن والاعتدال في المكسب والإنفاق، رغم اعترافه بصعوبة ذلك بسبب طغيان الثقافة الاستهلاكية واستبدادها بالأفراد، وكذا خصوصية الحتميات الاجتماعية البارزة في ضوء تقاليد استهلاكية يغلب عليها طابع التبذير، إذ إن نجاح الأب أو الأم في التعامل مع اكراهات هذه الثقافة لا يعني بالضرورة عمومها عند كامل الأبناء، بما يجعل واقع الأسرة رهينا لنمط الثقافة والاقتصاد السائد.[1]

بيد أن تصور الصعوبة لا ينف إمكانية الحديث عن حلول إجرائية وبعيدة المدى أثناء البحث عن حداثة لائقة ومتجددة في إطار تعامل حضاري مع تداعيات الثقافة الاستهلاكية، حيث أقر المسيري ضرورة البدء بالإبداع، إذ أن التراكم التاريخي الطبيعي يفرز قوى ترنو إلى تغير الواقع وتحسينه تماشيا مع مقتضيات الجودة والتقدم، مثلما حدث في الثورة الفرنسية حين بسط الموسوعيون تمثلاتهم وتصوراتهم عن الثقافة والوجود فاقتضى الحال وجود فاعلين اجتماعين وجهوا التغيير نحو الفعل بعد سجال غلب عليه طابع الابداع في المجال الإنساني والتقني، وفي الوقت عينه لن تقوم للحداثة قائمة إن ظهرت قوى ووسائل التغيير الفعلي دون تعضيد وسند ثقافي واجتماعي.

إن المقصد الأساس في نظر المسيري هو حداثة بديلة ترتكز على الجدة وتقوم على القيم في إطار منطق التوازن والعدل من حيث تفعيل مبدأ الاشتراك والتراحم بين البشر، وهو التجديد الذي يعيد للإنسان مركزيته بوصفه أساس الوجود ومبتغاه، وبوصفه إنسانا بإعلاء آدميته وليس كائنا استهلاكيا أو رقما مضافا إلى معادلة الربح والخسارة.

---

[1] - المسيري عبد الوهاب، "**الاستهلاكية والامبريالية النفسية**"، رحلتي الفكرية: في البذور والجذور والثمر، ص 200.

لقد ركز المسيري على وضعية الفرد ضمن الإطار الأسري مؤكدا على أن تفعيل الاستقرار الأسري يعد مدخلا رئيسا للحداثة البديلة أو الجديدة، وبذلك يتضح دور المجتمع بهيئاته المختلفة بوصفه ضامنا لتحقيق هذا الاستقرار خصوصا لدى العائلات المحرومة والفقيرة بالعمل على سد حاجاتها تماشيا ومقتضيات الكرامة الإنسانية، مع ضرورة تجسيد العدالة حينما يتعلق الأمر بالواجبات والحقوق بما يعطي للأفراد أملا اجتماعيا ويمدهم بالضمانات المساهمة في تحقيق الذات.

يسعى المسيري في تمثلاته الحداثية إلى تقويض دعائم الحداثة الغربية في شكلها المستبد الناتجة في أحايين كثيرة عن المفاعيل العكسية المؤدية إلى نقيض المقصود، حيث تجعل من الإنسان هامشا وهو مركز الكون لتحل محله مركزيات وثوابت جديدة مثل المنفعة المادية، التقدم، معدلات الإنتاج، قوانين الحركة، حيث يعطى البعد المادي حضوره الذي يتجاوز في نظر المسيري حب المال لصالح منظومة قيمية تحوز رؤية فلسفية تُختصر في الإيمان بأن المادة هي الأصل والمحرك للكون.[1]

في هذا الإطار يعترف المسيري بأنه لا يقدم حلولا جامعة مانعة نهائية الدلالة، قدر دعوته للتساؤل والاجتهاد، مقترحا بداية الحداثة البديلة ضمن التداول الإسلامي والإنساني عبر السعي لتحقيق الكفاية، أي كدح الأفراد والمجتمع إلى تحقيق المتطلبات الأساسية للحياة والعيش الكريم كمرحلة أولى لضمان العدل والسلم الاجتماعي الذي يؤهل الأفراد على الانخراط تحقيقا للصالح العام، بالشكل الذي يتم معه تجاوز الحداثة الداروينية التي لا ترى العالم إلا من خلال التسابق والصراع.

مقصد الحداثة البديلة في نظر المسيري لا يتباعد عن تحقيق منفعة وسعادة الإنسان، ضمن مشروع حضاري يعطي للأسرة أهميتها البالغة عبر تنشئة سليمة تأخذ على عاتقها تأصيل القيم الإنسانية والحضارية في أنفس وعقول الأطفال، ويعني أيضا سعيا حثيثا لتحقيق توازن فعال بين الخصوصية الثقافية المتفتحة التي تغتني بالقيم العصرية في إطارها الكوني والإنساني، بما يُبعد الحِدية عبر الثنائية المفروضة على الأفراد والأسر ومن ثمة المجتمع في إطار التعامل مع مستجدات الحياة وإكراهات الحداثة ذات البعد المادي: فإما أن يتم الإعجاب بالأصل والانكفاء على الذات والاحتفاء بالخصوصية، وبالتالي تجسيد الرفض أو عدم القدرة على تحقيق التواصل الواعي في مناقشة المسائل السياقية والكونية، وإما أن تدرأ وتقوض خصوصيتها من خلال التقليد والانصهار في منجزات الحضارة الغربية على مستوى الفهم والممارسة.

إن تجاوز الامبريالية النفسية المفضية إلى الإتباع ودرء الإبداع يعد مدخلا رئيسا لحداثة بديلة واعية، تعقد العزم على تجديد أطرها كلما دعت الضرورة لذلك مع ضرورة الاستناد لخصوصية ثقافية ووعي جمعي حضاري يربط الأفراد بعضهم بعضا، مع الدعوة لنشر التفكير النقدي وتعميم

[1] - المسيري عبد الوهاب، **الحداثة وما بعد الحداثة**، ص 16.

الثقافة، ومن ثمة السعي الحثيث لتوفير الشروط المفضية لسعادة حقيقية، ولن يكون ذلك دون صدق في الأداء وفاعلية في الإنتاج وتوجه مستمر نحو الإبداع.

إن المدونة الإسلامية المتنورة ذات البعد الإنساني في نظر المسيري تتوفر على عديد الشروط المفضية إلى حضارة كونية تتأسس على الممهاة بين المادة والروح، ومن ثمة التركيز على الوسطية والاعتدال واستحسان التمتع بنعم الحياة ومباهجها بما يتواءم ومقاصد الشّرع دون شطط أو مفاخرة.

استنتاج

الحداثة حداثات هي نتاج فهومات مختلفة ومتعددة تتقاطع في هدف إحداث نهضة والحفاظ عليها، وهي خاضعة على الدوام لمبدأ التعديل والتطوير وذلك بإغناء الخصوصية الثقافية بأسانيد تمكن أفراد المجتمع عبر مبدأ الجدارة والاستحقاق من التعامل مع مستجدات العصر بمرجعية متفتحة. وهي النتيجة الأساسية المستخلصة من تصور عبد الوهاب المسيري الذي يرى الحداثة بوصفها إنتاجا أصيلا لمجتمع في لحظة تاريخية محددة، تكون نتاج مشروع فكري يجد سندا له من خلال قوى فاعلة في التاريخ، وهو الأمر الذي لا نجد له حضورا ضمن المعطى التداولي العربي، لذلك ارتبط التصور الفلسفي للحداثة عند عبد الوهاب المسيري بنقد الثقافة الاستهلاكية التي تحيل في عمقها للتبعية الحاصلة للفكر الغربي فهما وإنجازا، عن طريق تغييب فعل الإبداع لصالح الاستيراد، أي استيعاب كل ما يتم انجازه ضمن معطى تداولي مختلف والاكتفاء بتكريس ثقافة العجز والاستهلاك.

إن فهما لطبيعة وأسباب التحول الذي حصل في الفكر الغربي من المادية القديمة الصلبة إلى المادية الجديدة السائلة، سيقدم معرفة بطبيعة الحداثة السائدة في إطار كوني ومن ثمة إدراكا لسمتها الغالبة، حيث تركز المجتمعات المتخلفة أو الواقعة تحت إطار قابلية الاستعمار على المظاهر والرغبة الحثيثة للترف والتمتع بمباهج الحضارة، مما يجعل الحداثة ضمن هذا الإطار عملة زائفة وحالة شكلية، وهو السبب الرئيس الذي دفع المفكر والفيلسوف عبد الوهاب المسيري إلى توجيه انتقاداته للشكل السائد للحداثة ضمن فضائها الكوني والعربي خصوصا، وذلك بتقديم تصور نظري مؤسس تجاه حداثة بديلة تقوم على فكرة التعاقد، التراحم والعدل.

المصادر والمراجع

1- بنيس محمد، **الحداثة المعطوبة**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2004.

2- الخطابي عز الدين، **أسئلة الحداثة ورهاناتها**، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، بيروت، الجزائر، دبي، ط1،2009.

3- الزين محمد شوقي، **إزاحة فكرية**: مقاربات في الحداثة والمثقف، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، ط1، 2008.

4- المسيري عبد الوهاب، **التريكي فتحي**، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، لبنان، ط1، 2003.

5- المسيري عبد الوهاب، **رحلتي الفكرية**: في البذور والجذور والثمر، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2000.

6- المسيري عبد الوهاب، **فكر حركة الاستنارة وتناقضاته**، دار نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1998.